الآفاق
السنة الرابعة
الـ ١٤٠
الإثنين ٢٧ شعبان ١٤٤٧ هـ.ق
٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
مركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
رئيس التحرير: علي رضا مكتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري إسلامي، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: مرتضى حيدري آهنگري
مسئول الطبع: مصطفى اويسى • طباعة: صميم ٢١ ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٩٨ +

■ حوار / القسم الأول

# لماذا يلحد البعض؟

## قراءة في الإلحاد الإنفعالي وأسبابه الخفية

■ الآفاق في حوار مع سماحة السيد عبد العزيز الصافي

*الآفاق: لم يعد الإلحاد المعاصر ناتجًا بالضرورة عن إشكالات فلسفية معقّدة أو براهين علمية مادية؛ بقدر ما أصبح في كثير من حالاته استجابةً لانفعالاتٍ نفسية عميقة وأزماتٍ شعورية تسبق التفكير العقلي المنطقي. فمشاعر الغضب من الشرور، والرغبة الجامحة في التحرر المطلق، أو النفور الشديد من الخطاب الديني وسلوك بعض المنتسبين إليه، قد تتحول تدريجيًا إلى مواقف عقدية راسخة تنكر التدبير الإلهي أولا، ثم تنتهي إلى إنكار وجود الله نفسه.*

*في هذا الحوار، نسلّط الضوء على مفهوم "الإلحاد الانفعالي"، ونكشف أسبابه الخفية وجذوره النفسية، في نقاش علمي هادئ جرى مع سماحة الدكتور عبد العزيز الصافي، الباحث في "مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية" التابعة للعتبة الحسينية المقدسة، حيث يميّز لنا بين الإلحاد القائم على الشبهة الفكرية، وذلك الذي تقوده المشاعر والانفعالات المستحوذة على النفس.*

الآفاق: بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في حلقتنا هذه، نفتح ملفاً حساساً وشائكاً: "الإلحاد الإنفعالي". تيارٌ لم يعد مجرد أفكار فلسفية مجردة، بل تسلل عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي إلى عقول شبابنا، مستهدفاً المشاعر قبل العقول. لمناقشة هذه الظاهرة، نرحب بالدكتور عبد العزيز الصافي، الباحث في مؤسسة "الدليل" للدراسات العقدية. كما تلاحظون، تيار الإلحاد الجديد توغل في مجتمعاتنا الدينية، حيث يميل العديد من الأفراد للإلحاد ليس بسبب شبهات عقلية فحسب، بل تأثراً بالعواطف والعوامل النفسية. نسعى هنا لتحليل مفهوم الإلحاد الإنفعالي والعوامل المؤدية إليه.

أستاذنا الفاضل، البعض يلحد بحثاً عن "دليل"، والبعض الآخر يلحد بحثاً عن "راحة" أو "ثأر". كيف نعرّف هذا النوع الأخير، وما الفرق الجوهري بينه وبين الإلحاد الفكري؟

الصافي: حياكم الله. الإلحاد الإنفعالي واضح من اسمه؛ فهو إلحاد تضاف إليه صفة "الانفعالي"، بحيث يكون الانفعال هو السبب الأساسي الذي يقود إليه. وهناك إلحاد يزعم الاستناد لأسباب علمية أو فلسفية، أما ما نتكلم عنه اليوم فهو "الإلحاد الإنفعالي": وهو إلحادٌ سببه مجموعةٍ من الانفعالات أو الانطباعات الشعوريّة الراسخة، المتعلّقة بفهم الكون والحياة والنفس، أو بالنظرة إلى الدين وأثره في المجتمع، أو بالضعف الذاتيّ أمام التيّار المادّيّ الجارف، ونحو ذلك، والتي لا يجد الإنسان لديه الحصانة الكافية لمنعها من قياده لاتخاذ موقف اعتقادي بالإلحاد.

هذا تعريف مجمل للإلحاد الإنفعالي أو ما اصطلح عليه بالإلحاد النفسي.

■ الآفاق: ما هي الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى الإلحاد الإنفعالي بحسب رأيكم؟

الصافي: في الحقيقة إن تشخيص أسباب الانفعالات أمر في غاية الأهمية لتحديد العلاج؛ لأنه من دون معرفة أنواع الانفعالات المسببة له لا يمكن لنا معرفة طريقة العلاج أو الوقاية المناسبة، خصوصا وأن أسباب الإلحاد الإنفعالي، هي عبارة عن طوائف من الانفعالات المختلفة. هذه الأسباب تقود غالباً إلى إنكار التدبير الإلهي أو الحاجة إليه، مما يؤدي تدريجياً لإنكار وجود الله. وهي تصنف إلى ثلاثة أصناف رئيسية:

■ الصنف الأول: انفعالات الاستغناء عن الدين.

وأهمها:

أولا- مشاعر الرغبة الشديدة بالتحرر:

وهذه المشاعر ناشئة عن الكبر أو الاستعلاء أو الثقة الزائدة بالنفس. فهؤلاء يرفضون الاعتراف بمن هو أعلم منهم، ويريدون التميز والتفرد، وقد أكد القرآن على أن الكبر من أهم مناشئ الكفر النفسية.

وبعبارةٍ مختصرةٍ: إنّهم لا يريدون الاعتراف بمن هو أكمل منهم وأعلم، بل يعتبرون كلّ شيءٍ عداهم ناقصًا.

وقد أكّد القرآن الكريم على أنّ من مناشئ الكفر النفسيّة الكبر، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

وقد سُئل أحدهم الإمام الصادقؑ عن أدنى الإلحاد؟ فقال: «إِنَّ اَلْكِبْرَ أَدْنَاهُ».

ثانيا- مشاعر الرغبة الشديدة في الشهوات:

إن الرغبة المتطرفة في ممارسة الشهوات بأوسع مجالاتها، وفي كافة الموارد المباحة وغير المباحة. تجعل الإنسان ينكر الحاجة للتدبير الإلهي ليكون مستقلاً في تدبير نفسه وفق أهوائه، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}. وهذا ما سيقوده لإنكار المبدأ الإلهي أو وجود الله بالتبع؛ لأنها لا تتلاءم مع مشاعر رغبته الشديدة في نيل الشهوات وعلى أوسع نطاق.

وبذلك يتبين أنّ إنكار الحاجة إلى الدين والشرائع الإلهية منشأها أما مشاعر الكبر والاستعلاء أو سببها الرغبة الشديدة في نيل الشهوات التي لا تتلاءم مع الالتزام بفكرة الحاجة إلى تعاليم الأنبياء وشرائعهم

■ الصنف الثاني: انفعالات الاحتجاج على القضاء والقدر

ويتمثل في سببين أساسيين:

أولا- الانفعالات الناشئة عن مشكلة "الشرور" في العالم:

الشرور الطبيعية كالزلازل أو الأوبئة، أو الإرادية كالحروب أو الفتن، تعد من أكثر مناشئ الإلحاد النفسية. عندما يتعرض الإنسان لمعاناة، يتولد لديه شعور بأن هناك شراً يمكن أن يرتفع ولم يهب الإله لإنقاذه، فيرفض فكرة التدبير الإلهي بسبب الغضب والألم، خاصة إذا لم يملك عقيدة صلبة أو فهماً لفلسفة الابتلاء والتكامل.

ثانيا- الانفعالات الناشئة عن عدم استجابة الدعاء:

من خلال مراجعتي لمواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات الخاصة بالملحدين، لاحظت أن هنالك من اعتنق الإلحاد لمجرد عدم استجابة دعواته؛ ويعده مبرراً كافيا لإلحاده. فمثل ذلك الشخص يردد في نفسه "أنا أدعو وأتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بإلحاح وإخلاص ولا أجد أدنى استجابة" أو "أرى بعض المؤمنين الصالحين يدعون الله ولا يجدون الاستجابة الكافية". وهذا ناتج عن فهم خاطئ لفلسفة الدعاء.

أنها فكرة خاطئة بلا أدنى شك عند ملاحظة الآثار الروحية والأخلاقية والنفسية المترتبة على تقربهم ودعائهم لخالقهم، فضلا عن أن الكثير ممن دعوا الله قد رأوا أثر استجابته المادية وغير المادية واضحة في حياتهم. قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). هذا مع الالتفات إلى مسألة إنه لم يقل أحد أن الدعاء هو الحل السحري لكل مشكلاتنا بحيث يقتصر عليه بدلاً من الأخذ بالعمل والسعي والأخذ بمبدأ الأسباب والمسببات. كما أن هذا الداعي قد يغفل عن فلسفة الدعاء، وإنّه قد تكون هنالك مصلحة له وراء تأخير استجابة الدعاء، أو قد تكون هنالك استجابة له في الآخرة وبما هو أعظم وأكمل وأطيب لنفسه. أو قد تكون الاستجابة لهذا الدعاء، فيها ضرر له لا نفع وهو يجهل ذلك تماما. فالإنسان قد لا يدرك مصلحته في عدم استجابة دعواته في بعض الأحيان. إذن، هذه السبب أيضا هو أحد أسباب الإلحاد الإنفعالي. لكن كلا هذين السببين - وجود الشرور وعدم استجابة الدعاء - هما أسباب تقود إلى إنكار وجود التدبير التكويني الإلهي، وليس إنكار الحاجة إلى التدبير التشريعي الإلهي أو الحاجة إلى الشريعة الإلهية كما في الانفعالات السابقة.

■ الصنف الثالث: انفعالات "النفور" من الدين

ويتمثل في سببين رئيسيين:

١.سلوكيات بعض المنتسبين للدين:

ويمكن ملاحظته في الأثر النفسي الناشئ عن سلوكيات بعض (المتدينين) المتشدد التكفيري أو المغالي؛ لأن الإنسان في بعض الأحيان عندما يرى سلوكيات بعض (المتدينين)، قد تقوده مشاعر الغضب والتألم والسخرية والاشمئزاز منها إلى اعتناق الإلحاد.

وطبعا، قد لا يكون هؤلاء المتدينين المتظاهرين بالقداسة متدينين في واقعهم؛ أو قد يكونوا فهموا الدين بشكل خاطئ، أو تطبيقهم للدين خاطئ، وفي بعض الأحيان ليس تأثير أفعال المتدينين هو ما يقود إلى إنكار وجود الدين الحق؛ بل خطاب المتدينين أنفسهم. فقد يكون خطابهم الإقصائي الدموي، أو خطابهم الخرافي اللاعقلاني أو المتخلف عن مقتضيات الحياة المعاصرة هو المؤثر.

وهذه الخطابات المنحرفة الملائمة لاتخاذ المواقف الانفعالية الملحدة قد تقود بعض الناس الذين لا يمتلكون الحصانة الكافية إلى إنكار الأديان السماوية، والقول بأن الأديان الإلهية ليست واقعية وحقيقية؛ بل أديان بشرية. وهذا ما يقودهم لاحقا إلى إنكار وجود الإله المشرع بالتبع.

٢.إشكالية تقدم الغرب وتخلف المسلمين:

إن مشاعر الاحتقار لواقعنا المتخلف والانبهار بنجاح الغرب التكنولوجي. هذه المشاعر المتضاربة، خاصة عند المبتعثين أو المهاجرين، تقود للاعتقاد بأن الدين أعاق مجتمعاتهم عن التطور، ويجعلان الإنسان يتسرع لتصديق كل ما يصتدر عن الغرب وتكذيب ما يصدر عن مجتمعه، لمجرد إشباع تلك المشاعر، فيعتنق الإلحاد. وهذا النوع هو الأكثر حضوراً في بلادنا الإسلامية.

■ الآفاق: كيف يرتبط الإلحاد الإنفعالي بالجوانب النفسية والعاطفية للإنسان؟ وما دور المشاعر في اعتناقه؟

الصافي: المشاعر والانفعالات ليست أسباباً منطقية لاتخاذ مواقف اعتقادية لأنها لا تكشف عن الواقع بطبيعتها، بل عن الجانب الذاتي. ولذلك فهي غير صالحة في اتخاذ مواقف اعتقادية مصيرية. وفي الحقيقة عندما نأتي إلى كيفية تحليل اتخاذ أو اعتناق الموقف الإلحادي؛ نجد في البداية إن هذا الملحد الإنفعالي تصبح لديه انطباعات راسخة نتيجة ظروف صعبة (كالشرور أو عدم استجابة الدعاء أو سوء سلوك المتدينين)، تقوده تدريجياً لمواقف انفعالية. نعم؛ يبقى للانسان ارادة واختيار في تحديد موقفه الاعتقادي بقبول ذلك الإلحاد أو عدم قبوله، ولذا، قد تقود تلك الانفعالات المتعددة بعض الأشخاص إلى اتخاذ الموقف الإلحادي وقد لا تقوده. فهي أسباب أو عوامل غير حتمية. وإنما كما بيّنت، لا بد أن يكون هناك استعداد ذاتي مسبق عند الإنسان للتأثر بتلك الانفعالات، ناشئ من عدم وجود الحصانة الكافية وضعف العقيدة الدينية وهشاشتها، أو نتيجة مدى شدة رسوخ ذلك الانفعال في نفسه.

فالإنسان ليس كائناً عقلياً محضاً، بل لديه جانب نفسي نزوعي. ولذا عندما يتعرض لتلك الأسباب، تتولد لديه انفعالات راسخة (كالتألم، الغضب، الجزع) تقوده لاتخاذ موقف إنكار وجود الله أو تدبيره.

■ الآفاق: ما هو الفرق بين الإلحاد الفلسفي والعلمي مع الإلحاد الإنفعالي؟

الصافي: هذا السؤال جداً مهم. لماذا؟ لأنه إذا لم نميّز بين الإلحاد الإنفعالي وبقية أنواع الإلحاد الأخرى كالإلحاد الفلسفي والعلمي، فهذا سوف يقودنا إلى علاج أو وقاية غير متناسبة مع ذلك النوع من الإلحاد. وهذا يقع كثيراً، ولذا لا بد في الخطوة الأولى قبل علاج الإلحاد لا بد من تمييز نوعه عن غيره وتشخيصه.

ولعلّ أهم الفوارق الأساسية بين الإلحاد الإنفعالي وبين الإلحاد الفكري بشقيه الفلسفي والعلمي، هو:

١- اختلاف المناشئ والأسباب التي تقود إليه:

فمثلا، الإلحاد العلمي يستند لفرضيات حسية لا تصلح للإجابة عن الأسئلة الميتافيزيقية كإثبات وجود الله، والإلحاد الفلسفي يستند لأصول مادية أو فلسفية باطلة. أما الإلحاد الإنفعالي فيستند لعوامل وأسباب نفسية وجروح وعقد، وليس لأدلة وحجج. ولذا مثل هذا الإلحاد لا يكون مستندًا في واقعه إلى دليلٍ، ولا إلى شبهة دليلٍ عقليٍّ أو علميٍّ، وإنّما إلى مجموعةٍ من الانفعالات أو الانطباعات الشعوريّة.

٢- طبيعة المشكلة:

الملحد الإنفعالي مشكلته ليست مع وجود الله المجرد، بل مع دعوى "تدبيره" (التشريعي والتكويني)، أو أنه لا يحتاج لهذا التدبير بسبب كبره أو شهواته.

هو يقول إنّ هناك دعوى بوجود تدبير إلهي، وأنا لا أجد آثار ذلك التدبير أو أجد ما يخالف ويتنافى مع وجود ذلك التدبير، وهو العبثية. أو هو يقول بأنه ليس بحاجة إلى ذلك التدبير الإلهي ولا يريده، هو يستطيع أن يدبّر نفسه بنفسه، ومنشأ هذا الاعتقاد راجع لوجود مبادئ نفسانية؛ كالكبر والاستعلاء أو الغرور والثقة الزائدة بالنفس.

ولهذا نجد الملحد المشهور، ورئيس الملحدين المعاصرين "ريتشارد دوكينز" يقول فيما معناه: أنا مشكلتي ليس مع الله بذاته؛ بل مشكلتي دعوى المتدينين بأنه هنالك تدبير إلهي، سواء أكان ذلك التدبير تشريعياً من خلال الأديان والوحي، أو تكوينياً من خلال إدارة الكون وحياة الإنسان.

٣- أسلوب تعامله مع المؤمنين:

الملحد الإنفعالي لا يكتفي بتبرير إلحاده، بل يمتلك حقداً وبغضاً للأديان والمتدينين، ويستخدم أسلوب السخرية والاستهزاء، ويكثر من التبشير لإلحاده، بخلاف الإلحاد الفكري الذي يقتصر غالباً على النخبة.

٤- الانتشار:

الإلحاد الإنفعالي هو الأكثر انتشاراً في عصرنا لأنه يشمل كافة طبقات المجتمع، وغالباً ما يكون الإلحاد الفكري نفسه منشؤه نفسياً في العمق.

يتابع

## شعر وقصيدة

### في استقبال شهر رمضان المبارك

رَمَضَانُ أَقْبَلَ يَا أولي الأَلبابِ!
فَاسْتَقبِلُوهُ بَعْدَ طُولِ غِيابِ
عَامٌ مَضَى مِنْ عُمْرِنا في غَفْلَةٍ
فَتَنَبَّهُوا! فالعُمْرُ ظِلُّ سَحَابِ
وَتَهَيَّؤوا لِلتَصبُّرِ ومَشَقَّةٍ
فَأجورُ مَنْ صَبَروا بِغَيْرِ حِسَابِ
اللهُ يجزي الصائمينَ لأنّهم
مِنْ أَجْلِهِ سَخِروا بِكُلِّ صِعابِ
لا يَدْخُلُ (الرَيّانَ) إلا صائمٌ
أَكْرِمْ بِبابِ الصومِ في الأبوابِ
ووقاهُمُ المَوْلَى بِحَرِّ نهارِهِمْ
رِيحَ السَّمُومِ وشَرَّ كُلِّ عَذابِ
وَسُقُوا رَحيقَ السَّلْسَبِيلِ مِزاجُهُ
مِنْ زَنْجَبِيلٍ فَاقَ كُلَّ شَرابِ
مَا صَامَ مَنْ لَمْ يَرْعَ حَقَّ مُجَاوِرٍ
وَأَخُوَّةٍ وَقَرَابَةٍ وَصَحَابِ
مَا صَامَ مَنْ أَكَلَ اللحُومَ بِغِيبَةٍ
أَوْ قَالَ شَرّاً أَوْ سَعَى لِخَرَابِ
مَا صَامَ مَنْ أَدَّى شَهَادَةَ كَاذِبٍ
وَأَخَلَّ بِالأَخْلاقِ وَالآدَابِ
أَلصَّوْمُ مَدْرَسَةُ التَّعَفُّفِ وَالتُّقَى
وتَقَارُبُ البُعَدَاءِ وَالأَغْرَابِ
الصَّوْمُ رَابِطَةُ الإِخَاءِ قَوِيَّةٌ
وَحِبَالُ وُدِّ الأَهْلِ وَ الأَصْحَابِ
الصَّوْمُ دَرْسٌ فِي التَّسَاوِي حَافِلٌ
بِالجُودِ والإِيثَارِ وَالتَّرْحَابِ
شَهْرُ العَزِيمَةِ والتَّصَبُّرِ والإِبَا
وَصَفَاءُ رُوحٍ وَاحْتِمَالُ صِعَابِ
كَمْ مِنْ صِيَامٍ مَا جَنَى أَصْحَابُهُ
غَيْرَ الظَّمَأ وَالجُوعِ وَالأَتْعَابِ

### نصيحة نفسية

■ الحياة... رحلة إلى الأبدية

حين يرى الإنسان الحياة مسارًا لتكامل الروح لا سباقًا للبقاء، تتبدّل موازينه ويكتشف أن الدنيا دار عبور لا مقرّ. يفهم أن الألم ليس من الأشياء ذاتها، بل من التعلّق بها والغفلة عن الغاية الأسمى. ويرى في كل ابتلاءٍ رسالةَ ارتقاء، وفي كل خسارةٍ توجيهًا لما ينفع أبديته. وحين يوقن أن البقاء الحقيقي للآخرة، يتحرر من ضجيج المقارنات ويعيش اللحظة بوعي ومسؤولية. عندها تتسع روحه، ويزداد صفاءً، ويسير مطمئنًا نحو لقاء الله.

نرحب بآراء القراء الأعزاء
عبر البريد الالكتروني التالي
Alafaq1446
@gmail.com